بسم الله الرحمن الرحيم

الحجر الأساس
لمن أراد شرعة خير الناس

الإمام بداه بن البوصيري

تم تنزيل هذه المادة من
موقع شذرات شنقيطية
www.chadarat.com

حمـــــدا لمـــــن أمرنـــــا بالاقتـــــدا بســـــنة الرســـــول طـــــاب محتـــــدا[1]

ثـــم الصـــــلاة مـــــع ســـــلام تـــــال علـــــى النبـــــي وصـــــحبه والآل

هـــــذا وإن مالـــــك بـــــذا أمـــــر كغيـــــره مـــــن علمـــــاء ذي الزمـــــر

وقـــــرر الرســـــول فـــــي حياتـــــه أجـــــر الخطـــــا لعـــــالم آياتـــــه[2]

ومـــــدح القـــــرنين بعـــــد الأول مـــــع ذم تـــــالي ذي القـــــرون الأول[3]

فالســـــلف الصـــــالح تيلـــــك القـــــرون والخلـــــف المـــــذموم بعـــــده يكـــــون

وقـــــال لا تـــــزال بعـــــد طائفـــــه يحمـــــل هـــــذا العلـــــم منهـــــا طائفـــــه

وجـــــوَّز العمـــــل بـــــالرأي لـــــدى فقـــــد الكتـــــاب ثـــــم ســـــنة الهـــــدى[4]

علـــى خـــلاف قـــد أتـــى فـــي المســـأله علمـــــه بعـــــضٌ وبعـــــضٌ جَهِلَـــــه

وذاك لا ينكـــــــــره إلا غبـــــــــي أو جاهـــــل بســـــنة الهـــــادي النبـــــي

وإننـــــي أدعـــــو إلـــــى الـــــذي دعـــــا لـــــه الأمـــــين وبـــــه قـــــد صـــــدعا

ولـــــم أزهِّـــــد أحـــــدا فـــــي الـــــرأي إلا إذا نـــــــأى أشـــــــد النـــــــأي

والجـــــاهلون لـــــم أقـــــل يســـــتنبطون بـــــل يســـــألون العلمـــــا ويغبطـــــون

قلـــــت كتـــــاب الله لا بـــــأس إذا مـــــا قالـــــت الأعـــــلام فيـــــه أخـــــذا

ومثلـــــه ســـــنة خيـــــر الخلـــــق مثنـــــى عليـــــه بعظـــــيم الخلـــــق

قـــــد بينـــــوا الصـــــحيح والســـــقيما ومطلقـــــا، معممـــــا، ســـــليما

وضـــــد ذا وبينـــــوا المنســـــوخا وضـــــده حـــــازوا بـــــذا الرســـــوخا

وكلمـــــا أنـــــيط بـــــالقرآن أو ســـــنة بأوضـــــح التبيـــــان

فكـــــل ذاك أهلـــــه قـــــد قـــــرروه وبينـــــوه، فصـــــلوه، حـــــرروه

وخطبـــــة الـــــوداع فيهـــــا حرَّضـــــا نبينـــــا علـــــى اتبـــــاع مـــــا أضـــــا

---

[1] المحتد: الأصل

[2] إشارة إلى حديث مسلم : "إذا حكم الحاكم فاجتهد.."

[3] إشارة إلى حديث البخاري: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

[4] إشارة إلى حديث معاذ الذي ورد في سنن الترمذي: "..أجتهد رأيي".

و"اليـــوم أكلمـــت" بـــه قـــد أنزلـــت "تركـــت فـــيكم" أثبتـــت فيمـــا ثبـــت
عـــن عـــدِّ مـــا ورد فـــي الحـــث علـــى ســـــنته تكـــلُّ ألســـــنُ المـــــلا
ومثـــلُ ذا تحـــذيره مـــن بدعـــةِ تحـــدث فـــي آخـــر هـــذي الملـــةِ
والســـلف الصـــالح كالأصـــحاب والتـــابعين تـــابعي الأنجـــاب
مضـــوا ولا مـــذهب مســـتمر وكلهـــم لســـنة يَفِـــرُّ
وإن أتـــت حادثـــة إجتهـــدوا مجتمعـــين ربمـــا تفـــرَّدوا
وكلهـــم يخطـــئ ثـــم يرجـــع لمـــا إليـــه الملتجـــى والمرجـــع
ومالـــك والشـــافعي وأحمـــد كـــذا أبـــو حنيفـــة المحمـــد
مـــاتوا علـــى ذا الـــنهج كلهـــم يقـــول الـــرأي يخطـــي ،لا يعـــارض الرســـول
وذا عليـــه وقـــع اتفـــاق مقلـــدي الجميـــع والوفـــاق
ومالـــك عنـــد الممـــات القعنبـــي وجـــده يبكـــي مـــن أجـــل المـــذهب[5]
وبعـــدهم حـــدث ذا التعصـــب مـــراد أهلـــه بـــه التقـــرب
أرجـــو مـــن الإلـــه أن يعطـــيهم جنـــة خلـــده ولا يخـــزيهم
فكـــل مـــذهب علـــى طـــائفتين طائفـــة دعـــت إلـــى هـــدي الأمـــين
وأختهـــا تـــدعو إلـــى المـــذاهب وكلهـــم ألّـــف فـــي المطالـــب
وذا الخـــلاف بيـــنهم قـــد اســـتمرْ لزمـــرة ردت كعلـــيش الأغـــرْ
كـــذاك فـــي زماننـــا موجـــودُ عليـــه منـــا نفـــر محمـــودُ
مـــن ثالـــث ورابـــع قـــام الخـــلافْ إذنْ علـــى الجمـــود مـــا صـــح ائـــتلافْ
فـــدعوة لســـنة وللكتـــابْ ولقـــرون زكيـــت عـــينُ الصـــوابْ
عكـــس التـــي تـــدعو إلـــى آراء محدثـــة قطعـــا بـــلا امتـــراء
فأهـــل الآرا دوّنـــوا المدونـــهْ والأمهـــات عنـــدهم مدونـــهْ

[5] يعني أن القعنبي وهو أبو عبد الله بن سلمة التيمي دخل على مالك عشية موته فوجده يبكي من أجل آرائه...

وجمعـــــت بجـــــامع النـــــوادر[6] وجمـــــع نجـــــل حاجـــــب فبـــــادر
منتصـــــف الســـــابع والثـــــامن فيـــــه أبـــــو المـــــودة بـــــدا وهـــــو فقيـــــه
وقـــــال فيـــــه ناصـــــر اللقـــــان "نحـــــن خليليـــــون" بالإيقـــــان[7]
وأمهـــــات الســـــنة الطائفـــــةَ الأخـــــرى إلـــــى أحكامهـــــا داعيـــــةَ
وجمَّعـــوا أحكامهـــا فـــي المنتقـــى[8] مـــــع بلـــــوغ للمـــــرام منتقـــــى
وعمـــــدة الأحكـــــام والإلمـــــام وغيـــــر ذا مـــــن كتـــــب الأحكـــــام[9]
وكلهـــم دعـــا إلـــى مـــا صـــنفا وعـــن ســـوى طريقـــه الحـــق نفـــى
والـــدعوة التـــي دعاهـــا جفـــلا عمـــت صـــغيرا وكبيـــرا فـــي المـــلا
لكـــن مـــن دعـــا إلـــى ذي الســـنةِ لـــم ينـــه عـــن مـــذهب دار الهجـــرةِ
بـــل قـــال:"رأي عارضـــته الســـنةَ يتـــرك" عـــن إمامنـــا ذا أثبتـــوا
فـــإن تكـــن تجهـــل ذا فـــادْن إلـــيْ أعطـــك مـــا يكفيـــك أي شـــيئا فشـــيْ
إن كنـــت منصـــفا وإلا فالجـــدالْ ليســـت تســـده إطالـــة المقـــالْ
وإن تكـــن تعلـــم ذا مـــا بالكـــا؟ هـــلا ســـكتَّ وكفـــاك حالكـــا؟
"والاجتهـــاد فـــي بـــلاد المغـــرب طـــارت بـــه فـــي الجـــو عنقـــا مُغـــرِب"
محلـــه مجتهـــد قـــد اســـتقلْ فمطلـــق : دهـــر التزلـــزل انتقـــلْ[10]
قـــد نبـــه الســـيوطي فـــي الـــرد علـــى خطـــإ مـــن لغيـــر ذاك أصَّـــلا[11]
وأول هـــو الـــذي يبتكـــر لنفســـه قواعـــدا محـــرر
وآخـــر ســـلك مـــذهب إمـــام كمالـــك ونحـــوه مـــن الأنـــام
مثـــل الســـيوطي قـــال ذلـــك المقـــال عـــن نفســـه وغيـــره مـــن الرجـــال[12]

---

[6] أي كاب أبي عبد الله محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة المشهورة.قوله "وجمع نجل حاجب" يعني مختصر ابن الحاجب وكان في منتصف القرن السابع وكان في القرن الثامن ابو المودة وهو الشيخ خليل صاحب المختصر المشهور

[7] يشير إلى ما اشتهر عنه من قوله : " نحن خليليون إن ضل ضللنا وإن اهتدى اهتدينا"

[8] أي منتقى الأخبار وبلوغ المرام من أدلة الأحكام

[9] عمدة الأحكام للمقدسي والإلمام لابن دقيق العيد

[10] أي لا ينتقل إلا دهر طلوع الشمس من مغربها أو إلى دهر تزلزل قواعد الدين...

[11] أي في كتابه المسمى الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الإجتهاد في كل عصر فرض.

والنـــــووي قـــــال حكـــــى الأســـــتاذ عـــن صـــحب مالـــك ومـــن قـــد لاذوا
بأحمـــــــد وقـــــــوم داود والأكـــــــ ثـــر مـــن الأحنـــاف أنـــه ســـلكْ
فـــي مـــذهب عـــن اجتهـــاد مطلـــق والشـــــافعية كـــــذاك حقـــــق
تـــــابع أهـــــل ســـــنة متبـــــع واســـطة قـــال البنـــاني الأرفـــع
أو هـــــــو ذو تبصـــــــر زروق يقـــــول ذا.. وقولـــــه يـــــروق
وهـــو آخـــذ دلـــيلا مـــا اســـتبد بأخـــذه عـــن الـــذي قـــد اجتهـــد
وظيفـــــــة لأجـــــــود الطـــــــلاب والشـــيخ فـــي المـــذهب مـــن ذا البـــاب
فـــــاهَ بـــــذا زروق مـــــع تشـــــديد أي فـــي الـــذي صـــادم مـــن تقليـــد
ذو الـــــرأي قـــــل مقلـــــد أو مقتـــــد إن كنـــــت زروق بـــــه قـــــد تقتـــــدي
والـــــــرأي لا يحبـــــــه لذاتـــــــه بـــــل للـــــذي عـــــرض مـــــن صـــــفاته
ـفـــــي زعمـــــهـ لكنمـــــا المحتمـــــل ومثلـــــه المعـــــدوم لا يســـــتعمل
مـــــع وجـــــود ضـــــده وذا بديـــــهْ لـــــدى النبيـــــه ولـــــدى غيـــــر النبيـــــهْ
وإن تقـــــل: مقلـــــد مـــــن تبعـــــا قـــــول الرجـــــال لـــــو لســـــنة ســـــعى
قلنـــا: نعـــم ـ علـــى طريـــق الجـــدل ـ مســـــلّم هـــــذا المقـــــال معتـــــل
نحـــــن وأنـــــت كلنـــــا قـــــد أخـــــذا قـــــول الرجـــــال حبـــــذا وحبـــــذا
مـــــا بـــــال بائـــــك تجـــــر والتـــــي لـــــديَّ لا جـــــر لهـــــا فـــــي الجملـــــة[13]
الإنصـــــاف مـــــن شـــــأن الكـــــرام الكمـــــل وغيـــــرهم بعكـــــس ذاك منجلـــــي
فـــــإن ســـــكت نحـــــن عنـــــك ســـــاكتون وإن تكلمـــــت فجانـــــب المجـــــون
فـــــأت بـــــنص مـــــن قَـــــران أو حـــــديث إجمـــــاع إمـــــة قـــــديم أو حـــــديث
محـــــرم تعلـــــيم هـــــذي الســـــنة: بعيـــــد الألـــــف أو ورا ذي المـــــدة
أو موجـــــب تقليـــــد شـــــخص عينـــــا تكـــــن بـــــذاك ســـــنة مبينـــــا

---

[12] فإنه قال في كتابه السابق : ما قلدنا الشافعي ولكن وافق اجتهادنا اجتهاده.سئ

[13] هذا مثال سابق وبيانه أن رجلا قال لآخر: ما فعل الله بحماره؟ فقال له الآخر باعه -بكسر العين-فقال له الأول قل باعه بفتح العين فأجابه قائلا باعه بكسر العين ما بال بائك تجر وبائي لا تجر؟

ورايـــــة الرجـــــوع فـــــوق رأس حينئـــذ ومـــا بـــه مـــن بـــأس
وقـــع للأصـــحاب ثـــم التـــابعين وتـــابعيهم تـــابعي ذي التـــابعين
إن قلـــت لا أعـــرف ذا فـــالفتوى عليـــك قـــد حرمتهـــا فـــي الأقـــوى
ولســـت تنســـب للمـــذاهب أنـــت كشـــخص فـــي الفـــلاة ذاهـــب
يبـــدِّع النـــاس إذا للســـنن قـــد ذهبـــوا أي: عملـــوا بالســـنن
وإن تقـــل قـــال فـــلان.. أو فـــلان والخصـــم ذا دراه قبـــل فـــي ذا الزمـــان
لـــم تحســـن الجـــواب والســـكوت عنـــك هـــو الجـــواب لا يفـــوت
إن تـــدعي الكثـــرة لا عـــن الـــدليل فمالـــك راعـــاه لا كثـــرة قيـــل
فكثـــرة عـــن الـــدليل اعتلـــت حجتهـــا أضـــعف بهـــا مـــن حجـــة!
إيـــاك أن تقـــول مشـــهور بُنـــي علـــى ضـــعيف حجتـــي وهـــو ســـني
هـــذا كـــلام الله أم قـــول الرســـول إجماع أو دعوى بها جئت بها تصول؟
وإن تقـــل قـــوميَ قـــد أصـــابوا تحكمـــا قلنـــا لنـــا المصـــاب

فصل في تفسير المذهب

مـــذهب مالـــك شـــروح المختصـــر أتـــت بـــه اســـتنباطه الـــذي ذكـــر
محـــذرا منـــه إذا يختلـــف مـــع ســـنة يقبـــل ذاك المنصـــف
ومـــا بـــه الفتـــوى هـــو المشـــهور وراجـــح وضـــد ذا مهجـــور
بـــيَّن ذا أبـــو الضـــيا[14] ومـــن شـــرح محققـــا لـــراجح قـــد انشـــرح
وغيـــره عَكَـــسَ والغـــلاوي بـــين مـــا بيَّنـــه للـــراوي
"فمـــا بـــه الفتـــوى تجـــوز المتفـــق عليـــه فـــالراجح ســـوقه نفـــق[15]
وبعـــده المشـــهور فالمســـاوي إن عـــدم التـــرجيح فـــي التســـاوي
فكثـــرة القائـــل للمشـــهور وســـنة للـــراجح المنصـــور

فصل في جواز التلفيق بين مذهبين

[14] قوله أبو الضياء هي كنية للشيخ خليل فقد بين ذلك في مختصره فإنه ربما ذكر المشهور والراجح نصا، إشارة إلى ذلك والعلم عند الله.
[15] أي ربح ضد كسد

علـــــيش والدســـــوقي والأميـــــر وغيـــــرهم بـــــالقول ذا شـــــهير
جماعـــــة قـــــد جـــــوزا تحقيقـــــا عبـــــادة وغيرهـــــا تلفيقـــــا

فصل

مـــن لـــم يجـــد إلا إمامـــا واحـــدا وهـــو جهـــول فاســـقا أو عابـــدا
ولـــم يجـــد إلا الـــذي يعلمـــه مذهبـــه عليـــه ذا نحتمـــه
وللضـــــرورة التحـــــتم يـــــرى حينئـــــذ للبســـــه التحيـــــرا
والعلمـــــا إن ذُكـــــرت فمالـــــك نجـــــم ولا خـــــلاف عنـــــد ذلـــــك
مذهبـــه مـــن أحســـن المـــذاهب ولســـت عـــن مذهبـــه بالـــذاهب
فمـــدح مالـــك ونجـــل القاســـم لا يثبـــت الســـنة فـــي المواســـم
ولـــيس فـــي ذا البحـــث إن البحـــث فـــي مـــذاهب أحـــدثها مـــن تقتفـــي
فهـــل دعـــاك مالـــك لـــرأي خـــالف ســـنة أتـــت فـــي الـــوحي
أم هـــل دعـــاك الشـــافعي أو أحمـــد أم هـــل دعـــاك التـــابع المؤيـــد[16]
بـــيِّنْ لنـــا فـــي ذا بقـــول شـــافي يبـــدي اللئـــالئ مـــن الأصـــداف
ولـــيس منـــه مـــا أتـــى الحطـــاب بـــه وغيـــره فيســـتطاب
فـــذاك قـــد جمعتـــه منثـــورا واســـمعه بـــالنظم بـــدا مســـطورا

فصل في حجج المقلدين

حـــظ المقلـــد مـــن اجتهـــاده تقليـــده الأعلـــم فـــي بـــلاده
ثـــم الصـــحابة بـــذا التقليـــد أولـــى لـــدى الحديـــد[17] والبليـــد
لكـــنَّ مـــا نقـــل عـــنهم قليـــل شـــغلهم جهـــادهم عـــن ذا الســـبيل
وبيـــنهم مـــن الخـــلاف مـــا يـــذر مقلـــدا فـــي حيـــرة إذا نظـــر
فنظـــر التـــابع فـــي اختـــلافهم عليـــه قـــد بنـــى مـــع ائـــتلافهم
وتـــابع التـــابع جـــا وقـــد كثـــر تشـــعب الفتـــوى لـــدى كـــل قطـــر

[16] يعني أبا حنيفة رحمه الله
[17] أي المتصف بحدة الفهم والنجابة

فجمعـــوا أقـــوال مـــن تقـــدما ووضـــعوا قـــدما عليهـــا القـــدما
فمهـــدوا الفـــروع والأصـــولا وصـــنفوا وســـايروا الفحـــولا
حتـــى علـــى أقـــوالهم قـــد قاســـوا شـــبيهها فهـــم أولاك النـــاس
فهـــؤلا تقليـــدهم تعينـــا فقـــد كفـــوا مـــن بعـــدهم ذي المؤنـــا
وانعقـــد الإجمـــاع فـــي الأقطـــار عليـــه مانعـــا مـــن الأخطـــار
وأصـــل ذا قـــول الإلـــه "فاســـألوا" ثـــم "اقتدوا"حديثـــه مفضـــل
وبعثـــه الصـــحب لكـــي يفصـــلوا أصـــل لمـــن أصـــول ذاك أصـــولوا
والحكـــم ذا ذكـــره عيـــاض ريـــاض قولـــه هـــو الريـــاض
وشـــيد الحطـــاب ذي الأقـــوالا عـــن قائليهـــا نـــاقلا أنقـــالا
وغيـــر ذا مـــن حجـــج ســـتاتي بيـــنهم لـــدى المحـــاورات
وقـــد بنـــوا علـــى اشـــتراط البحـــث عـــن معـــارض ونحـــوه عـــن وعـــن
ثـــم علـــى عـــدم تجـــزي الاجتهـــاد دلالـــة الـــنص إذا هـــي تـــراد
كانـــت لـــديهم مـــن الـــذي اجتهـــد فيـــه. ورد ذاك كلـــه عهـــد
فـــانظره فـــي كـــلام ذي الطائفـــة الأخـــرى أتـــى بحجـــج واضـــحة

فصل في الرد على المقلدين

وقالـــت الطائفـــة المليحـــة بـــدعتكم شـــنيعة قبيحـــة
هـــذا مـــن التقليـــد لا يحـــل قائلـــه لصـــحبه مضـــل
فعامـــل الـــذكر بعلـــم يعمـــل والجهـــلا عـــن حكـــم ذاك تســـألوا
وذاك لـــم يكـــن مـــن التقليـــد أو لـــيس مـــذموما بـــلا تفنيـــد
أتزجـــرون النـــاس عـــن كتـــاب رب الـــورى وســـنة الأواب
ثـــم احتجـــاجهم بمـــا تقـــدما صـــار علـــيهم حســـرة ونـــدما
آيـــة "فاســـألوا" وبعـــد أهـــلا الـــذكر: مرحبـــا بهـــا وســـهلا
قـــد أنزلـــت علـــى مـــن أنكـــرا كـــون رســـول المتعـــالي بشـــرا

هـــذا الـــذي أفـــاده الســـياق آيـــة "أرســـلنا" لـــه تســـاق
إن ذكـــر التعمـــيم فـــي الســـؤال فصـــاحب الـــذكر بـــذاك حـــال
والـــذكر قـــل كتابنـــا والســـنة لا ثالـــث قـــد دحضـــت ذي الحجـــة
ثـــم حـــديث العـــي والســـؤال وأثـــر العســـيف ذاك العـــالي
جوابـــه أرشـــدهم إلـــى الســـؤال عـــن ثابـــت الســـنة لا رأي الرجـــال
إذ عنـــدما بغيـــر علـــم رنـــت فتـــواهم دعـــا مقـــيم الســـنة
روي عـــن الصـــديق فـــي الكلالـــة "أقضـــي" إلـــى آخـــر ذي المقالـــة[18]
عمـــر: أســـتحيي مـــن أن أخالفـــه ورأينـــا اتبـــاع أهـــل المعرفـــة
ونجـــل مســـعود بقـــول عمـــرا: يأخـــذ والشـــعبي عـــد نفـــرا
يفتـــون فـــي النـــاس فقـــال عمـــر ونجـــل مســـعود، عليـــا ذكـــروا
وزيْـــدُ ثابـــت ونجـــل كعـــب أبـــي، الأشـــعري إمـــام الشـــعب
ثلاثـــة مـــن هـــؤلاء يـــدعون مقـــالهم إلـــى مقـــال الآخـــرين
فعمـــر معتـــرف أن الخطـــا لـــم يـــك للصـــديق دونـــه الغطـــا
مـــن أجـــل ذا خالفـــه فـــي الـــردة غنيمـــة، شـــورى أتـــت فـــي العـــدة
وغيـــر ذا ثـــم وفـــاق الـــرأي نـــأى عـــن التقليـــد أي نـــأي
وعمـــر أقـــر مـــع جلالتـــه بأنـــه لـــم يقـــض فـــي كلالتـــه
وإن يكـــن عمـــر قلـــد أبـــا بكـــر بـــذي حجـــة ذا تـــرى هبـــا
مجتهـــد وربمـــا يقلـــد كغيـــره علـــى نـــدور يوجـــد
مـــع خـــلاف قـــد أتـــى فـــي المســـأله عـــن الأصـــول نقلتـــه النقلـــه
ومثـــل ذا رجـــوع بعـــض الصـــحب للصـــحب لا دليـــل فيـــه صـــحبي
ذو العلـــم قـــد يوافـــق العـــالم فـــي أكثـــر والخـــلاف بيـــنهم يفـــي

[18] إشارة إلى قول الصديق رضي الله عنه في الكلالة وفي آخره: "فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله برئ منه.

"علـــيكم بســـنـي" ثـــم "اقتـــدوا" لـــم يتنـــاول مـــا رأى مجتهـــد
فمـــن يقـــس مجتهـــدا بالراشـــدين عمـــم فيمـــا خصـــص الهـــادي الأمـــين
يـــا عجبـــا يقـــدم فـــي مقـــام الاحجـــام دأبـــا ليـــت هـــذا الســـامي
قلـــدهم ومـــا رمـــاهم ورا ء حـــائط إذا الخـــلاف قـــد جـــرى
هـــذا قيـــاس مـــع وجـــود المفـــرق "لـــو أنفـــق " الحـــديث مـــن قـــيس يقـــي
حـــديث "أصـــحابي.."[19] إلـــى آخـــره لمـــا صـــح والحجـــة لـــم تعتـــره
لأنـــــه مزيـــــة الصـــــحابة ضـــــمن لا مجتهـــــدي الإمامـــــة
تـــابعهم متبـــع أمـــر الرســـول وذاك عـــن تقليـــدكم هـــذا يحـــول
ومثـــل ذا مـــا عـــن معـــاذ وردا "ســـن لكـــم" وبعـــد "ســـنة" بـــدا
كـــذاك مـــا عـــن ابـــن مســـعود ورد "مهمـــا اهتـــديت فبهديهم"فقـــد
لـــم يرشـــدوا إلا إلـــى الكتـــاب وســـنة الـــداعي إلـــى المتـــاب
وحـــذروا النـــاس مـــن الآراء عنـــد وجـــود الســـنة الغـــراء
ثـــم "أولـــي الأمـــر" إذا يفســـرون الأمـــرا والعلمـــاء المتقنـــون
مقلـــد عـــن كـــل ذلـــك انـــزوى فهـــو والجاهـــل عنـــدكم ســـوا
والأمـــرا والعلمـــاء لا تجـــب طـــاعتهم عنـــد خـــلاف مـــا كتـــب
مـــع أنهـــم لـــم يـــأمروا بمـــا تقـــول عنـــه نهـــو قـــدم ذلـــك المقـــول
وإن يقولـــوا رأينـــا مقـــدم "لا طاعـــة"[20] الحـــديث منـــه أقـــدم
كـــون الصـــحابة الفتـــاوى شـــهروا فـــي عصـــره للاحتجـــاج قـــرروا
لـــو كـــان فتـــواهم بغيـــر الشـــرع يكـــون ذا مـــن احتجـــاج مرعـــي
لكـــنهم يفتـــون بالنصـــوص قبولنـــا روايـــة المنصـــوص
لـــم يـــك تقليـــدا علـــى مـــا قـــررا والفـــرق بـــين ذي ورأي ســـطرا

---

[19] إشارة إلى "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" ما صح مع أنه روي عن جابر وابن عمر من طرق، قال في القول المفيد ص9: وصرح أئمة الجرح والتعديل بأنه لم يصح منه شيء، مع أنه ليست فيه حجة.

[20] إشارة إلى الحديث : "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

ومـــن يقـــل إن حـــرم التقليـــد يجـــب الاجتهـــاد والتشـــديد
وهـــو تكليـــف بمـــا لـــيس يطـــاق يلـــزم تتـــرك الصـــنائع الرفـــاق
وتبطـــل المعـــائش التـــي بهـــا نظـــام ذي الحيـــاة فلتنتبهـــا
مـــن أجـــل الاشـــتغال بـــالعلوم فقـــل لـــه الشـــبهة عنـــد القـــوم
مـــردودة بـــأنهم راضـــونا مـــع جهلكـــم بـــأن تســـائلونا
عـــن الـــذي أمثـــالكم تســـأل عنـــ ـــه فـــي قـــرون زكيـــت مـــدى الـــزمن
لا تنتمـــوا للفـــرد مـــن أعـــلام فلتســـألوا الكـــل عـــن الأحكـــام
راويـــن بـــاللفظ أو المعنـــى مقـــال مفتـــيكم مـــن النســـاء والرجـــال
أو انتمـــوا للفـــرد عـــن جـــواز كـــي تســـلكوا الصـــواب فـــي المجـــاز
فـــذاك أســـهل مـــن التحجيـــر بحمـــدة الغبـــي علـــى التشـــهير
مـــن يـــدعي انعقـــاد الإجمـــاع عليـــه نـــرده بالنقـــل عـــن كـــل فقيـــه
صـــح عـــن الجماعـــة الأربعـــة منـــع لـــه وغيـــر ذي الجماعـــة
فهـــو بدعـــة برابـــع القـــرون مذمومـــة ومـــا اتفاقهـــا يكـــون
فالمتـــأخرون فيـــه اختلفـــوا ولـــم يقـــرره الأولـــى قـــد ســـلفوا
فـــي الاجتهـــاد الأرجـــح التجـــزؤ معـــارض قبـــل وجـــود نبـــأوا
بـــأن مـــن عمـــل بـــالنص ومـــا وجـــده مـــا لاجتهـــاد قـــد ســـما
فالاجتهـــاد حـــده معـــروف وذا هـــو اتباعنـــا المـــألوف
وكونـــه واســـطة قـــد حـــررا تبصـــرا فـــي الـــنظم ذاك قـــررا
والبحـــث عـــن معـــارض فيـــه نقـــل خمســـة أقـــوال تفيـــد مـــن جهـــل
فتركـــه، جـــوازه هـــو الأصـــح جمهـــورهم هـــذا المقـــال عنـــه صـــح
لأن الأصـــل عـــدم المعـــارض مـــن علـــة ونحوهـــا مـــن عـــارض
وثـــان الأقـــوال وجـــوب العمـــل مـــن دون بحـــث بالـــدليل الأكمـــل

قد قاله الشيرازي ثم الرازي وغير ذين قال كالشيرازي

والبحث مندوب لدى الجلال وهو المحلي سيد الرجال

خوف تطرق اللسان لو لم تبحث وللوجوب قول قد نمي

لابن شريح والغزالي ونقل إجماع شافعية عليه قل

فبالمخصص احتمالا أسست حجتهم في الخامس الفرق ثبت

بين الذي عم فلا عمل به من قبل بحث عكس ذلك انتبه

للأمر والنهي وكل ما مضى في الانتفاء للقرينة أضا

وإن تكن قرينة تلاقي في الزركشي البحث كذا العراقي

وجوب ذا البحث عن المعارض ضعفه المحلي بالنقل الرضي

أعني الذي أسسه الغزالي ومن له في القول ذاك تالي

إن قلتم وظيفة المجتهد ذا البحث لا لمقتد مقلد

معتمدين ما ابن مرزوق ذكر "مثلي.."إلى آخر ذلك الخبر

قلنا لكم قيدتم أطلقتم بلا دليل ساقط ما سقتم

فالمصطفى الرماصي والحطاب والعدوي البناني ذي الأقطاب

وسائر الشروح للمختصر أبو الضياء وهو ذو تبصر

تكلموا على الحديث البعض قال يرد مشهور لراجح المقال

وذكروا انتفا كراهة إذا يقلد الخارج قولا حبذا

كراهة المذهب لا تقول شرعية فيقبح المقول

إن فقد النهي من الرسول وهكذا حرر في النقول

بعض الأئمة إذا كره ما يندب عند الغير فعله سما

نقله المواق سيفا منتضى من غمده عن كل حبر مرتضى

ما الفرق بين ناظري الشراح للفرع والشراح للصحاح

أيـــن الـــذي أنكـــرتم ذي حـــالكم لا تنكـــروا اســـتدلالكم، مـــا بـــالكم؟
لا تجعلـــوا نتيجـــة مـــن الـــدليل تصـــادروا كـــي تبطلـــوا وحـــي الجليـــل
حاصـــل ذا أن خلـــيلا إن أتـــى أقرئـــه، أدعـــو لـــه كـــل فتـــى
ومثـــل ذاك ســـنة المختـــار مهمـــا أتـــت أقرئهـــا للقـــاري
مـــع حثـــه علـــى تعلـــم لهـــا مـــن أجـــل أن كـــل نـــدب ملهـــا
ولـــم أقـــل ســـوى كـــلام الشـــارحين لهـــا بقـــول واضـــح فصـــل مبـــين
فـــإن يكـــن خليـــل وفقهـــا فـــلا ضـــير إذن نـــور علـــى نـــور عـــلا
وإن يكـــن فيـــه الخطـــا بينـــت خطـــأه بآيـــة بينـــة
وهـــي الـــتلفظ بهـــا عبـــاده علـــى خـــلاف إنهـــا الســـياده
ومـــن خليـــل ربمـــا أقرأتـــه بابـــا ومـــن ناســـبه علمتـــه
عنـــد الوفـــاق كانعـــدام الســـنة فاعمـــل بفـــرع لا خـــلاف عنـــدتي
وإن يجـــي الفـــرع مخالفـــا لمـــا أصـــل فقيـــه ذا الخـــلاف ســـلما
فبعضـــهم مقـــدم للفـــرع وبعضـــهم مقـــدم للشـــرع
وذا الـــذي قـــدم هـــذا الفرعـــا يحســـبه مـــن الصـــحيح شـــرعا
وظنـــه لـــم يـــك نصـــا صـــححا ولا صـــريحا واضـــحا متضـــحا
وإننـــي منخـــرط فـــيمن دعـــا لســـنة ثابتـــة لا تـــدعى
علـــى العـــوام إن تخـــف مـــن خطـــأتي فلتحـــذرن تزهيـــدهم فـــي ســـنة
فقـــد غـــدوا يعتقـــدون الرأيـــا أنـــزل مـــن عنـــد الإلـــه وحيـــا
هـــذا اجتهـــاد منـــك لا نـــص بـــه أيـــن دليـــل واضـــح خـــص بـــه
فمـــا الـــذي تحـــتج عنـــد الله بـــه لـــذا مـــن ســـنة الأواه
فجاهـــل لاغـــرو أن يخطـــئ فـــي تعلـــم كالعـــالم الـــذ يقتفـــي
علـــى الصـــبي لا يجـــب القـــرآن ولا الـــولي وهـــذه الصـــبيان

بـــين يـــديكم تفســـدوا القرآنـــا أعلـــى الفســـاد ،حرمـــوا القرآنـــا
وإن تقـــل إن الفـــروع فـــرض عـــين وهـــو مقـــدم بـــدا لكـــل عـــين
قلنـــا لكـــم أجملـــتم مـــا فصـــلوا فيهـــا الكفايـــة وغيـــرا حصـــلوا
كســـــنة موافقـــــا للعينـــــي قـــدِّم وأخِّـــرْ مـــا ســـوى هـــذين
فـــإن تشـــأ قـــدم فروعـــا أتبـــع مناســـبا مـــن ســـنة واتّبـــع
وإن تشـــأ قـــدم نبيـــك ،أرى تقديمـــه هـــو الرشـــاد للـــورى
ولا تقـــل كيـــت وكيـــت إن ذا قـــدم مـــا كـــان عليـــه اســـتحوذا
وفـــرض عـــين حكمـــه فيـــه اضـــطراب يحتـــاج للـــدليل مـــن منـــه اســـتراب
كـــذاك حـــده وذي الجهـــال بـــين يـــديكم للحواشـــي مـــالوا
ونحوهـــا وتركـــوا الفروعـــا وشـــرعوا فـــي غيرهـــا شـــروعا
فـــاتهموا أنفســـكم فـــي الانتصـــار لـــذي الفـــروع إن لســـنة يصـــار
مـــنقص ذا عصـــمة لا تعـــذري بالجهـــل والســـكر ولا التهـــوري
فلـــتحكمن بأنـــه مرتـــد فـــذا بـــه خليلنـــا معتـــد
ثـــم الجمـــود عنـــه قـــد نهـــاكم محمـــد اليـــدالي مـــا ألهـــاكم
ونجـــل متـــال بـــدا مـــن قولـــه هـــذا المقـــال وبـــدا مـــن فعلـــه
وهـــو مـــا هـــو؟ هـــو العجـــاج بحـــر الهـــدى ووبلـــه الثجـــاج
والشـــيخ مـــا العيـــون ثـــم المـــامي نهـــاكم وهـــو شـــيخ ســـامي
شـــيخ الشـــيوخ شـــيخنا الكنتـــي وبـــاب بـــاب هديـــه مرضـــي
وغيـــرهم مـــن علمـــا زمـــانكم توبـــوا إلـــى بـــارئكم مـــن آنكـــم
لا تزجـــروا عـــن ســـنة المختـــار محييهـــا ابتغـــاء وجـــه البـــاري
إن قلـــتم هـــذا خـــلاف النـــاس فالنـــاس مـــاذا النـــاس يـــا أناســـي
فالنـــاس فـــي قـــول الإمـــام مالـــك العلمـــا وقـــول كـــل ســـالك

وجاهـــل الـــذكر نفـــوا عنـــه الصـــفه أي ذاتـــــه بالجهـــل قـــل متصـــفه

تتمة

فـــانظر لمـــا ذكـــر مـــن فوائـــد كتـــب السنوســـي "بغيـــة المقاصـــد"

وغيرها"مختصـــر ابـــن الســـبكي" شـــروحه "نشـــر البنـــود" المـــذكي

وشـــرح كوكـــب وشـــرح الورقـــات للشـــاطبي فـــانظر الموافقـــات

وانظـــر لـــه كـــذاك الاعتصـــاما معتصـــما بحبلـــه اعتصـــاما

لا تـــنس جـــامع ابـــن عبـــد البـــر والقرطبـــي كـــابن كثيـــر البـــر

"الإرشـــاد للفحـــول" للشـــوكاني وقولـــه المفيـــد فـــي ذا الشـــان

والـــرد للســـيوطي وابـــن جمـــرة علـــى البخـــار جـــا فـــي ذي الزمـــرة

وحجـــــة بالغـــــة للـــــدهلوي رســـالة تنمـــى لـــذا الحبـــر القـــوي

و"الأم" للشـــافعي فقـــه الأربعـــه مـــع الإشـــاعة وفـــي الهـــدي ســـعه

كمـــا فـــي "الإعـــلام" ونجـــل القـــيم فـــي ذيـــن جاءنـــا بهـــدي قـــيم

"الأحكـــام" ثـــم "مســـلك الدلالـــة" ونجـــل رحـــال أخـــا البســـالة

و"الســـنن الخمســـة" مـــع شـــروحها تبيـــين وجـــه ذا علـــى وضـــوحها

و"العدوي" "الخطـاب" و "الزرقـاني" ثـــم "الدســـوقي" هكـــذا "البنـــاني"

وغيـــر ذا مـــن كتـــب للقـــدما تضـــاف والمـــؤخرين العلمـــا

ذكرهـــا فـــي "رده" الســـيوطي ليجعـــل التقليـــد فـــي ســـقوط

عـــددت منهـــا مـــا كفـــى مـــن ينصـــف وغيـــره بـــالحق لا يعتـــرف

فانقســـمت دلالـــة هـــذي الكتـــب ومـــن يتـــب يـــرى الـــذي ذكـــرت، تـــب

صـــلى وســـلم علـــى مـــن حمـــلا رســـالة عمـــت ووحيـــا كمـــلا